تقـــديـــم

في عام ١٩٧٧ صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى، فكان – آنـذاك – أول عمل علمي يدخل إلى بنية القافية، وما أطلق علي حروفها وأنواعهـا مـن اصطلاحات، مدخلاً صوتيا. كانت دراسات أخرى قد سبقت الدراسة التي بـين أيدينا، كما زامنتها دراسات أخرى. ولكن تلك الدراسة التي قام عليهـا أسـتاذنا الدكتور محمد عوني عبد الرءوف قد انفردت بتجاوز الرصد والوصـف إلـى المقارنة والتحليل. وكانت دراسات سابقة مثل: "قضية الشعر الجديـد" للـدكتور محمد النويهي و"موسيقى الشعر العربي" للدكتور شكري عياد و"قضايا الـشعر المعاصر" للدكتورة نازك الملائكة قد درست التطورات الجديدة التي صـاحبت بنية القافية المتغيرة فيما اصطلح على تسميته تاريخيا بالشعر العربي المعاصر أو شعر التفعيلة، ولكن ساحة المقارنة بين القافية في الشعر العربي والقافية في اللغات السامية كانت خالية حتى جال فيها ذلك الكتاب.

من أهم ثمار تلك المقارنات الوقوف على وجوه الشبه أو الاختلافات بين الشعر العربي والشعر السامي وزناً وقافية. خذ مثلا على ذلك القافية في الشعر الأكادي الذي عرفت فيه القافية ما أطلق عليه أستاذنا، تجاوزًا، قافيـة المطـالع وهي مماثلة بين أوائل الأشطر، في الوقت الذي لم تطلق فيه القافية في الـشعر العربي إلا على ما كان من مماثلات في أواخر الأبيات.

ولعل من وجوه الشبه هنا ما عرفه الشعر الأكادي من قافية داخلية يمكن أن نجعل لها نظيرا ما أطلق عليه في الشعر العربي اسم "الترصيع"، وهـو أن يكون البيت مسجوعًا.

لقد أتيح لأستاذنا الدكتور عوني عبد الـرءوف دراسـة بنيـة القافيـة وتطورها وعلاقتها بالأصوات اللغوية على نحو لم يتح لغيره من الباحثين. ولعل من الأدلة على ذلك عنايته بتأمل العلاقة بين ضرائر القافية والأصوات اللغوية،

أو مقارناته نظام القافية في العربية بأنظمة القافية في اللغات السامية المختلفة. وقد زودته معرفته الواسعة بما كتبه المستشرقون الألمان عن الأوزان والقوافي في الشعر السامي – بخاصة – بمعلومات أضافت إلي ذلك الكتاب قيمة وتميزًا.

إن من الأعمال ما تنقص قيمته بالتقادم، ومنها ما تزيد. وهذا الكتاب الذي بين أيدينا – لصلابة منهجه وارتباطه بأسرار الصنعة الشعرية ذاتها – سوف تظل الحاجة إليه متجددة وملحة.

أ. د. محمد العبد

أستاذ العلوم اللغوية ورئيس قسم اللغة العربية

كلية الألسن – جامعة عين شمس

القاهرة ٢٠٠٤م

obeikandl.com